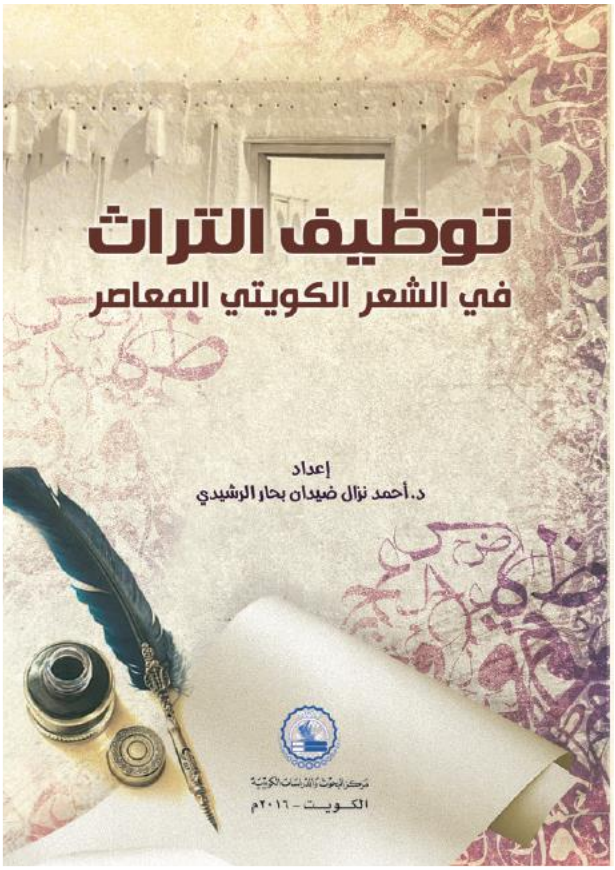


**٢- الشخصية المحورية:**

الشخصية المحورية المستدعاة في القصيدة هي قطب الرحى التي تدور حولها القصيدة، والبؤرة التي ينصب اهتمام الشاعر إليها، وتمثل معادلاً موضوعياً لتجربة الشاعر، الذي يقوم باستثمار طاقات الشخصية المستدعاة، وملامحها القديمة؛ لإبراز تجربته الجديدة، وإيصال رؤيته الخاصة.

ولم يرد في إطار هذا النمط سوى نماذج قليلة، ثم إن هذا القليل فيه قدر كبير من الاستدعاء التسجيلي، ومن ذلك أني لم أقف على استدعاء فني توظيفي لشخصيات الرسل والأنبياء في الشعر الكويتي، فغاية ما وقفت عليه من ذلك إشارات تسجيلية خاطفة، ما خلا شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) في سياق المناسبات الدينية، فقد حضرت حضورا يوجبه الغرض، وتحتمه المناسبة،

(١) "ديوان خليفة الوقيان مختارات"، ص١٣٧.
(٢) السابق، ص١٤٣.

ويحسن بنا هنا أن نتوقف عند قصيدة فهد العسكر "مناجاة عيد المولد- بسمة ودمعة"[1]، لننظر إليها من عدة زاويا:

كفكف بربك دمعك اهتانا  وافرح وهنئ قلبك الولهانا
واهتف وصفق واحسُ من راح اللقا  كأساً لكيما تطرد الأحزانا

إلى أن يقول:

قم يا رسول الله كي نشـ  ـكو إليك فمن سواك نبثه شكوانا
قم يا رسول الله وانظر هل ترى  إلا شعوبا تعبد الأوثانا
قم وانظر الدين الحنيف وأهله  أعزز وأكبر أن تراه مهانا
قم واهدنا واعمر خراب قلوبنا  إنا نبذنا الدين والقرآنا
إنا نسينا حتى سلط البا  ري علينا - يا نبي- عدانا

إن القصيدة قائمة على إبراز التناقض بين ما كان عليه واقع الأمة في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وما آل إليه الأمر الآن....، ولست أميل إلى أن هذا السبيل الذي سلكه الشاعر- في شكواه ما آلت إليه حال الأمة- جعله يقترب من المنهج التوظيفي، كما يرى الدكتور علي عشري زايد[2]، بل إني أحسب أن الشاعر لم يوفق في تكرار فعل الأمر-ومعلوم أنه خارج عن مقتضى الظاهر إلى غرض الشكوى والتحسر..، ولكن الشاعر- من وجهة نظري - لم يوفق حينما عمد إلى تكرار فعل الأمر على هذا النحو، لاسيما في قوله: "قم يا رسول الله كي نشكو إليك، قم يا رسول الله وانظر". فهذا وإن كان يشي بشدة التحسر والشكوى، فإنه- أيضاً- لا يخلو من جلافة الأعراب.

(١) الديوان، ص١١٨.
(٢) انظر: "الأدب في الكويت خلال نصف قرن"، ص٢٢٦.

وقد رأى الدكتور علي عشري زايد أن الشعراء استخدموا حيلتين فنيتين حين حاولوا الاقتراب بشخصية الرسول الكريم من المنهج التوظيفي؛ الأولى عن طريق توليد مفارقة بين هذه الملامح الوضيئة، وملامح الواقع المعاصر...، والحيلة الثانية حيلة الشكوى من الواقع المهيض. وأحسب أن الحيلتين غير مختلفتين؛ فإحداهما- فيما يبدو لي- "تفضي إلى الأخرى، ومتصلة بها. ثم إن الشعراء كانوا متأثرين بالمناسبات الدينية، ولم يكونوا يصدرون عن مذهب فكري محدد تابع لمذاهب فكرية إصلاحية...، وإنما هم يمثلون في نظمهم الاتجاه التقليدي، ولا تعدو قصائدهم أن تكون كلمات عفوية أملتها العاطفة من وحي المناسبات الدينية، كذكرى المولد والهجرة...، وفي الوقت نفسه ليس ببعيد أن يكون في بعض ما كتبوا، لا سيما في المقاطع التي تدور حول الشكوى التي يوجهونها أحيانا إلى مقام النبي الأكرم (صلى الله عليه وسلم)، أو في سياق إبراز المفارقة بين ما كانت عليه الأمة وواقعها...، أقول ليس ببعيد – من هذا الوجه – أن يقترب أولئك الشعراء من وصف الدكتور علي عشري زايد، عن غير قصد، لا اتباعا لحيلة فنية.

وهكذا تحامى الشعراء الكويتيون توظيف شخصية الرسول توظيفاً فنياً خالصا، كاتخاذها قناعا أو نحو ذلك، والسبب الظاهر يرجع إلى مزيد التوقير لشخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتمسكهم بالدين بوجه عام، وإحجامهم عن خوض تجارب شعرية تصطدم مع مسلمات العقيدة الإسلامية، وكأنهم رأوا أن توظيف شخصية الرسول، ستفضي بهم إلى مزالق غير مأمونة العثار، وربما هوت بهم في مكان سحيق لا قرار له؛ فآثروا النأي بأنفسهم عن تلك الهاوية السحيقة، وليس هذا خاصا بالشعراء الكويتيين. يقول الدكتور علي عشري زايد: "إن شعراءنا يتأثمون من استدعائها استدعاء توظيفيا بما يقتضيه هذا التوظيف من القيام بنوع من التأويل في ملامح الشخصية المستدعاة، وهم يجلون شخصية

الرسول الكريم عن أن يسقطوا على ملامحها أي تحوير أو تأويل".

وقد يكون لهذا التوجس وجه فني، فلربما وجدوا أن تناول شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) سيكون من باب المباشرة اللائقة بأسلوب النثر والخطابة والوعظ....؛ لا سيما مع تعذر التوظيف الفني، وأما ما كان بين المسلكين: التسجيلي، والتوظيفي، فأحسب أن ذلك طريق أدق من الشعرة وأحد من السيف، لا يسير فيه إلا الشاعر الشاعر، وهو الضرب الذي عز الوقوف على نموذج منه. ومهما يكن من أمر، فلا يعدو الاستحضار عند هؤلاء الشعراء طور البدايات نحو النضوج والتوظيف الفني.

وقد جاءت أهم القصائد التي دارت حول شخصيات تراثية في الشعر الكويتي المعاصر وفق الأشكال التالية:

أ - قصيدة (الحديث إلى الشخصية).

ب- قصيدة (الحديث بلسان الشخصية / القناع).

ج - تنوع الصيغ (الالتفات).

*** التحدث إليها (صيغة ضمير المخاطب):**

تُعد قصيدة "عيسى" لخالد العدساني من القصائد النادرة التي امتد فيها استحضار الشخصية من مبدئها إلى ختامها.وفي هذه القصيدة نلحظ مهارة واقتدارا في تعميق الاتكاء على شخصية المسيح (عليه السلام) لبلوغ الغرض الذي من أجله كتب الشاعر قصيدته، ولعل القصيدة بهذا الطريق الذي سلكه الشاعر فيها تكاد تشكل مرحلة الانطلاق من طور البدايات التي كانت تقوم على المباشرة والتسطيح إلى طور النضج والتوظيف الفني؛ إذ إن الشاعر كان يحاج قوى

# - النبي صلى الله عليه وسلم في الشعر الكويتي

لقد كان النموذج السابق لصقر الشبيب أبرز النماذج التي وقفنا عليها عند الشعراء الرواد. وسنصنف – فيما يلي – ما وقفنا عليه من مادة هذا المبحث وفق المصادر التراثية التي استمد منها الشعراء الكويتيون الشخصيات التي قاموا باستدعائها، وسنتوقف عند أهم تلك المصادر بحسب ما لها من حضور مؤثر في الشعر الكويتي المعاصر.

**(1) مصادر الشخصيات:**

**١ – الشخصيات الدينية:**

*** الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:**

**– محمد (صلى الله عليه وسلم):**

لم أقف على استدعاء توظيفي لشخصيات الرسل والأنبياء في الشعر الكويتي، بل كان غاية ما وقفت عليه من ذلك إشارات تسجيلية خاطفة، ما خلا شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) في سياق المناسبات الدينية، فقد حضرت حضورا لافتا، ولعل الدكتور علي عشري زايد كان يشير إلى هذا الضرب من الاستدعاء في قوله: "وقد شاع استدعاء شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) لدى الشعراء الكويتيين"[1]. ومن أبرز تلك القصائد قصيدة للشاعر فهد العسكر مس فيها شيئا من استدعاء شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك في قصيدته (مناجاة عيد المولد – بسمة ودمعة)[2] "وهو عنوان يكشف منذ البداية عن الغرض منها، فالبسمة من أجل مجيء المولد النبوي...، أما الدمعة فإشارة إلى ذلك الألم الممض

(١) الأدب في الكويت خلال نصف قرن. ص٢٢٦.
(٢) فهد العسكر حياته وشعره: ص١١٨ – ١٢١.



الديني والاجتماعي الذي تعيشه الأمة، فقال:

كفكف بريك دمعك الهتانا ... وافرح وهنئ قلبك الولهانا
واعتف وصفق واحسُ من راح اللقا ... كأسا لكيما تطرد الأحزانا

إلى أن يقول:

قم يا رسول الله كي نشكو إليـ ... ـك فمن سواك نبثه شكوانا
قم يا رسول الله وانظر هل ترى ... إلا شعوبا تعبد الأوثانا
قم وانظر الدين الحنيف وأهله ... أعزز وأكبر أن تراه مهانا
قم واهدنا واعمر خراب قلوبنا ... إنا نبذنا الدين والقرآنا
إنا نسينا الله حتى سلّط اليـ ... ـاري علينا – يا نبيُّ– عِدانا

كذلك استدعى الشاعر أحمد السقاف شخصية الرسول الكريم في قصيدته "في ركب محمد"[1]، و سار السقاف في هذه القصيدة في الطريق نفسه الذي سلكه العسكر في النموذج السابق، فقد عمد إلى إبراز "التناقض بين ما كان عليه واقع الأمة في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) من إشراق ومجد وقوة، وما آل إليه الأمر الآن"[2]:

عُـرِف الحـقُّ يـوم مـيلاده الميمون
والخَـــق قـبـل ذلـــك يُهـــدَر!

(١) ديوان شعر أحمد السقاف: ص٣٥٦.
(٢) الأدب في الكويت خلال نصف قرن، ص٢٢٦.

إنـما الـعـرب أُمَّـةُ الله في الأرض
وعـنـهـا مـصـادر الخـيـر تُـنْـثَرْ
خصهـا الله بالرسالـة والمجـد
وبـالـمـصـلـح الـذي قـد تَخَـيَّرَ
.... .... ....
إيه شعري قد ذاب جسمي للخطب
وقـلـبـي فـولـه قـد تَـمَـطَّـرْ
مـا عـهـدنـا الـعـربـن يحتـلـه فـرد
وعـنـه يـزاح شـبـل وقـمـور
لا رعـى الله كـل مـن بـات يلهو
حـولـه فـيـنـة وكـأس ومِـزْهَـر
أين ذاك الإبـاء؟ كيف استنام القوم
عـن حقهم؟ متى الـغُـرْبُ تثأر؟

وفي قصيدة "ذكرى مولد الرسول الأعظم"(١) يستدعي الشاعر عبد الله سنان شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) على غرار ما نجد في قصائد المناسبات الدينية التقليدية، ومقاربا في الوقت نفسه طريقة السقاف والعسكر، في الانطلاق من الماضي الزاهر إلى الحاضر العاثر الذي تعيشه الأمة:

بشر الكون بالهدى المنشود بالنبي الكريم رمز الوجود
بالنبي الـذي بـه انبثق النو ر فأطفأ بالحق نـار الوقود

ويستمر الشاعر على هذا النحو من مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)

(١) ديوان "نفحات الخليج/ البواكير" الطبعة الثانية (١٩٨٣م) ص٦٤.



مدحا تقليديًا خالصاً، وبعد أن ينتهي من المدح، يأخذ في الشكوى مما آل إليه أمر الأمة، حيث(١):

مـزق الـدهـر ملكهم بيد لا تعرف العطف من عتل عنيد
وتداعى صرح العلا بيد الأعداء إثـر الـتـبـذيـر والـتـبـديـد
وأراهـم ظهر المجن، ووجها مكفهرا جـزاء نكث العهود

وثمة نماذج أخر على هذا الغرار من الاستدعاء الذي لا ينفك ذكره في قصائد المناسبات الدينية(٢).

كما وردت إشارات خاطفة في بعض القصائد، منها قول سعاد الصباح:

" إنني بنت الكويت
كلما مر ببالي، عرب اليوم، بكيت..
كلما فكرت في حال قريش،
بعد أن مات رسول الله،
خانتني دموعي، فبكيت.."(٣).

أما الشاعر خالد سعود الزيد، فقد كان لاستحضار شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) خصوصية في تجربته؛ إذ إنه نظر إليها بعين المتصوفة، وذلك في قصيدته التي عنونها بـ"محمد"(٤):

مـا لـمـعـنـاهُ في الخَـقـيـقـةِ حَـدُّ كُـلّ شَيءٍ مـنْ نـورِهِ مُسْتَمَدُّ

(١) انظر: الأدب في الكويت خلال نصف قرن، ص٢٢٧.
(٢) كالذي نلقيه عند الشاعر فاضل خلف في بعض قصائده، انظر: "الذكرى الخالدة" ص١١، "نفحة الصحراء" ص١٦، "من وحي الإسراء" ص٢١.
(٣) ديوان فتاتيت امرأة ص١٢٨.
(٤) الأعمال الشعرية الكاملة، ص٧٧.

هوَ هذي العُصورُ تَتْرَى تِبَاعاً هـوَ هـذي الجُمـوعَ حـينَ تُعَدّ
فهوَ مـا بَـينَ ظـاهـرٍ يَـتَـوَارى وهـوَ مَـا بـينَ بـاطِـنٍ يَتَجِدُّ
قدْ مَشَى عَـبْرَهُ الوجُودُ سباقًا نَـحْـوَ غـايـاتِـهِ الـتـي لا تُحَـدّ
صُلِبَتْ في مكانِهَا عـاديـاتٌ ضَبَحَتْ والطَّريقُ قتلٌ وحدّ
عقرَ الـدّربُ حلمَهَا وبَعيدٌ ما رَمَـاهـا إليهِ وجْـدٌ ووجْـدُ
ما رأى الشَّمس غيرَ جذْوةِ شَوْقٍ ساقَهَا في مسيرةِ الحُـبِّ عَبْدُ
والـنّـجـومُ المسـخّـراتُ لأمْـرٍ قَتلتْ لَيْلَها ولمْ تجْـرِ بَـعْـدُ
غـرقَـتْ في فَـضَـائِـهِ تائِهاتٍ مثل قطْرٍ لوْ كانَ في البَحْرِ يَبْدو
سَلْ حراءً عنْ ليلةِ القدْرِ ما مِنْ شـاهِـدٍ غـيـرِهِ هـنـاكَ يعدّ
شـهـدَ الـلّـحـظـةَ اليتيمةَ لَمّا وقَـفَ الكونُ خاشعاً لا يَـرُدّ
وصـفـوفٌ مـنَ المـلائَـكِ رَتْـلٌ خلفَ رتلٍ منْ خيرِ ما صُفَّ جُنْد
وتَـوَالى على البسيطةِ جبريـ ـلٌ وحيداً يَـرُوحُ فيها ويَغْدو
ثُـمَّ نـادى في الـكَـوْن ثَـمَّ مُنادٍ أيُّهـا الظّامِئونَ قـدْ حـانَ وِرْدُ
قَدْ تَلاقى ركبُ السَّماء بركْبِ الْـ أرض في أنْجد الهدى وهوَ فَرْدُ

إن المنظور الصوفي الذي نظر به الزيد في هذه القصيدة واضح جدًا، فقد انطلق من التصور الصوفي فيما يعرف بـ "الحقيقة المحمدية"؛ "حيث تصوروا أن للنبي الكريم طبيعتين: بشرية، وروحية؛ البشرية هي التي يظهر بها للناس، والروحية هي التي أفاضت على الوجود بنورها، وصدر كل شيء عنها، وهذا قريب من التصور الفلسفي للنفس لدى الفلاسفة المسلمين المتأثرين بالفلسفة اليونانية"[1].

(١) الاتجاه الصوفي في الشعر الكويتي، د. سالم عباس خداده، ص٤٥.



وقد حاول الدكتور سالم عباس أن يلم بمصدر هذه الفكرة، فذكر أن عبدالحكيم حسان يرى أن الحلاج هو السابق إلى هذه الفكرة، فقد رأى أن أول ما خلق الله سبحانه نور الأنوار وهو محمد، ومن هذا النور خلق الموجودات جميعا، وهذا النور أزلي قديم؛ فمحمد من حيث هو نور أزلي قديم سبق كل موجود، ومن حيث هو رسول محدث ختم الله به الأنبياء. في حين أن ثمة قولاً آخر يذهب إلى أن أول تصور متكامل لتقدم خلق نور محمد (صلى الله عليه وسلم) في الفكر الصوفي وضعه سهل التستري، وأن تلميذه الحلاج كان له أكبر الأثر في إرساء هذا التصور وتثبيته[1].

ولسنا هنا بصدد تقصي هذه المسألة ومناقشتها، والتي من الممكن أن يكون القول الفصل في مصدرها خبر يُروى عن جابر بن عبدالله " أول ما خلق الله نور نبيك"[2]، ولكننا نهدف هنا إلى إبراز البعد الصوفي الذي نظر الشاعر من خلاله إلى شخصية الرسول الكريم في هذه القصيدة التي خص القول فيها عن الرسول (صلى الله عليه وسلم):

ما لمعناه في الحقيقة حد كل شيء من نوره مستمد
هو هذي العصور تترى تباعا هو هذي الجموع حين تعد
فهو ما بين ظاهر يتوارى وهو ما بين باطن يستجد
قد مشى عبره الوجود سباقاً نحو غاياته التي لا تحد

هكذا كان البدء صوفياً صرفاً حتى إذا تجاوزناه إلى بضعة أبيات، بدءًا من قول الزيد:

سل حراء عن ليلة القدر ما من شاهد غيره هناك يعد

(١) انظر: السابق ص٤٥، ٤٦، وثبت الهوامش ص٥٨، ٥٩.
(٢) والخبر في الموضوعات لابن الجوزي.

شـهـد اللحظة اليتيمة لما وقـف الكون خاشعا لا يَرد
وصـفـوف مـن المـلائـك رَتْـلٌ خلف رتل مِن خَير ما صُف جند

فسنرى أن الشاعر يمضي على هذا النحو بيتا إثر بيت نحو ختام القصيدة مبتعدا عن الملمح الذي بدأ به، متجها إلى الشعر الذي لا يخرج عن الاتجاه الاتباعي العام الشائع في شعر المناسبات الدينية عند كثير من الشعراء المسلمين.

ومن خلال ما سبق يمكننا القول بأن التصور الصوفي لشخص الرسول الكريم قد وسمَ بميسمه الخاص غرةَ هذه القصيدة، فكان النور فيها ساطعا، ثم لم يلبث أن خفت من جهة توظيف بعض تصورات المذهب الصوفي عن شخص الرسول الكريم، وإن كان النور فيها لم يزل وضاء بما تضمنته القصيدة من معان سامية شرفت واستضاءت حين اتجه بها الشاعر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

**- عيسى (عليه السلام):**

قليلة جدا تلك القصائد التي ورد فيها ذكر الأنبياء والرسل - عليهم السلام - ذكرًا لافتاً يؤثر في بنية القصيدة، فما كان يرد ذكر الأنبياء والرسل إلا في إشارات عابرة، كما في قول سعاد الصباح في رثائها لجمال عبد الناصر:

" كان هو المسيح في اعتقادنا فهو الذي عمدنا..."(١).

ولذلك تعد قصيدة الشاعر خالد العدساني التي استحضر فيها شخصية المسيح **(عليه السلام)** من القصائد النادرة في الشعر الكويتي المعاصر، ومما يوحي بأهمية شخصية المسيح المستحضرة في هذه القصيدة العنوان نفسه "عيسى"(٢).

(١) ديوان "فتافيت امرأة": ص١٣٩.
(٢) " قرافي الحب والشجن - باقة من الإبداعات الشعرية العربية " كتاب العربي، الكتاب الثاني والأربعون، ١٥ أكتوبر ٢٠٠٠م، تقديم الدكتور عبد القادر القط، ص٨٩.